

التجربة الكولونيالية: الاغتراب والبحث عن توازن الهوية " قصيدة الأمير عبد القادر أنموذجا"

The colonial Experience :Alienation and the Search for
identity Balance « poem prince Abdelkader is a model.

ط.د. جغدم تواتية*

أ.د. علي منصوري *

تاريخ النشر: 2024/07/31	تاريخ القبول: 2024/01/25	تاريخ الإرسال: 2023/12/25
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

خطأ أدب المنفى خطوات مهمة من أجل إثبات الوجود والكيان الذاتي بالرغم من الغياب عن الوطن، بسبب الحصار الكولونيالي المفروض، فلجئ الأدباء إلى اللغة كجسر يعبرون منه متكئين على عصا جمالية السرد وبلاغة تأثيره في توثيق الصلة بينهم وبين الوطن الأم ودحض كل الشكوك حول هجنة الهوية وجدلية التشكيلات الثقافية وخوف الذات من الآخر الامبريالي في ظل الصراع العربي مع الغربي.

اكتسبت مسألة المنفى بعدا إشكاليا كمقاربة ثقافية تتعاطى قضايا الهوية واللغة والتاريخ في وضع أشبه بالمنفى المزدوج، إلا أن هذا الوضع كان دافعا قويا ومتنفسا أعلن فيه المنفيون عن مفهوم المنفى وعلاقته بالإبداع، فخلقوا لأنفسهم فضاءات الترويج عن النفس.

الكلمات المفتاحية: أدب المنفى، الكولونيالية، جمالية السرد، الهوية، الذات.

المؤلف المرسل: جغدم تواتية elt.djourdem@univ-blida2.dz

*جغدم تواتية كلية الآداب واللغات جامعة البليدة 2- . elt.djourdem@univ-blida2.dz

* أ.د. علي منصوري



Abstract:

Exile literature took important steps in order to prove human existence and self-being despite the absence from the homeland due to the imposed colonial siege.

So Writers resorted to language as a bridge through which they crossed, relying on the stick of the aesthetics of narrative and the eloquence of it effect in strengthening the connection between them and the motherland and refuting all doubts about the spelling and dialectics of identity. Cultural formation and self-fear of the imperial other in light of the Arab conflict with the west.

The issue of exile has acquired a problematic dimension a cultural approach.

Key words: exile literature, 'colonialism', 'narrative aesthetics', 'identity', self.

*** **

مقدمة:

لم يكن العصر الحديث أوفر حظاً من العصور الأخرى التي سبقتة، فقد ألم بالوطن العربي صروف الدهر، وباتت المصائب تلاحقه وتلازمه من احتلال ووصاية وانتداب وحماية، فبات الأمر وبالأعلى الحياة العربية وغيّر كل أوضاعها حتى الأدبية منها التي أخذت تمنح آخر انصهرت في بوتقته كلّ الشاعر والأحاديث وتفجّرت فيه كلّ القرائح اللغوية، فبكت دواوين الشعراء في محاكاة لذلك الوضع المأساوي، وترجمت حروفهم الأتات والمعاناة تحت وطأة الاستعمار، وأبدعت أناملهم في التعبير عن الاغتراب والشوق والحنين الذي اعترى النفوس ومزّق دواخلها، فلم يكن لهم سوى الحبر الذي حمل الزّمن المحترق وسافر إلينا عبر سفينة شرعها من دم، يحمل قصائد مطعونة مقدّماً إيّاها للعالم كشهادة على عصر عربيّ يحترف قتل القصائد، شعاعه الملهب من تلك المسرحية الكوميديّة، كاد ينطفئ نوره، لكن من الجرح والتّعطش والتلف أوقد الأديب شعلة الأدب بعد أن كان في سباته العميق فيزج نجم أدب البعث والإحياء بعد الصّحوة الشاملة التي

حملت لواءها النّخبة المثقّفة لتبدأ رحلته مع شعر المنفى والاعتراب كأدب الألم والحزن ومحاوره الذات والبحث عن هويّة النّفس وإعادة الهويّة المستلبة نتيجة موجة الاستعمار، وما قام به من نفي وإقصاء عن أرض الوطن، ومن دون شك العلاقة الوشيعة بين الإنسان العربي وأرضه متأصلة فيه، فكيف الحال إن كان أديبا؟.

تكمّن أهميّة هذا الموضوع في أنّي أروم من دراستي له إلى الانضواء ضمن جهود التّحديث السّاعية إلى الاهتمام بقراءة أدب المنفى والتنقيب عنه في تراثنا اللغوي كلّ ما سنحت الفرصة وليس تذكّره عند حدوث الأزمات السياسية والانتكاسات.

وبحثي هذا الموسوم بـ " الاغتراب والبحث عن توازن الهوية " يعدّ كمقاربة ثقافية نقدية تحاول الكشف عن أثر العلاقة الوطيدة للمنفى في التّمسك بالهويّة، محاولا الإجابة عن إشكالية مفادهما: ما منافذ الخروج من المنفى ومعاناة الاغتراب؟ وما السّبل الكفيلة بحفظ الهويّة؟.

افترض الباحث فرضيتين اثنتين هما:

لأدب المنفى والاعتراب مسّرات وملذّات صقلت موهبة الأديب باعتبارها معادل موضوعي وثقافي لخلجات النّفس وحمولة ذات ملامح ثقافية تتشكّل عبر الوسائط التخيلية .

المنفّي مبدع عبر الوسائط الثقافية لا ينسجم تماما مع الوسط الجديد ولا يستطيع نسيان وسطه الأصل في رحلة حرصه على تشبّهه بهويّته وتأصيلها والعمل على استردادها.

قامت هاته الدّراسة وفق منهج نقدي تحليلي لفهم إشكالية المنفى مع مقاربتها ثقافيا وتاريخيا ومعطياتها السوسولوجية والنفسية.

1. بين المنفى وهويّة الاغتراب

1. ماهية المنفى:

المنفى حلم مزعج للمُنْفِيّ، يحاوطه من كلّ الجهات ويُغَصُّ عليه وجوده في خضوع لواقعه المريع واستكانته. وتختزل كلمة "منفى" التي تعني النّفي في الطّرد والإقصاء والتّبدّد والإبعاد قسراً والتّغيب "إبعاد عن الوطن ونبز ونزع للألفة، والمنفى «منزلة بين المنزلتين»، أحدهما ماضي صيغت ملامحه في الوطن المبعد، والآخر وشيك الحدوث في المستقبل القريب: الموت، هكذا يكون المنفى بالنسبة لذلك المنفيّ. فهو في أرض الغربة ذلك الأبتّر الذي لا جذور له، وبواعث النّفي تتمثل في أسباب شتّى، يجمعها في النّهاية فكرة العقاب¹. فطالما شكّل مفهوم المنفى طابعا إشكالياً فارتبط بالارتحال أو هجرة الجماعة طوعاً أو كرهاً، والثّانية أقرب إلى الصّواب باعتبار المنفى يحمل في ثناياه معنى الجبرية والاجتثاث القسري لشخص ما من وطنه، وإبعاده عن مسقط رأسه وكنف عائلته التي ترعرع فيها، ومن ثقافته التي احتوته منذ نعومة أظافره، فلا وصف يصوّر ما هو أشدّ وطأة على الرّوح من اقتلاع الإنسان من مكان الألفة فيجد نفسه تارة في مكان الغربة حوله كلّ أجنبي وموحش، وتارة أخرى يكابد ثقل الحياة ومزّها في بعده عن أرض النشأة الأولى.

إذن مفهوم المنفى هو «حالة الإبعاد والاعتراب والانفصال عن وطن حقيقي أو عن أصل ثقافي أو إثني»². ويعتبر المدّ الكولونيالي السبب الأوّل في بروز ظاهرة النفي والاعتراب التي ظهرت ملازمة له ولكل تدخّل أجنبي على البلدان العربية كنوع من العقاب بالإبعاد عن الوطن لكلّ من يساهم في الدّفاع عن وطنه ويحاول الدّود عنه.

وهكذا لم تكن غربة المكان واللغة مانعا من التّصدي والجهاد في سبيل الوطن، بل أعطت هاته الغربة النّفس من جديد للأديب الدّي حمل السلاح الثّاني على صدره، وكان بمثابة الصّوت الذي صاغ وعبّر عن ذلك الخيط المتين المفتول المشدود بين الاعتراب المكاني والارتباط الرّوحي بالوطن، الوطن الذي عاش فيه وزفر فيه، وأجبروه على تركه عنوة، وكبّلوا حريته، فكان النّفي والشتات أهمّ عقاب يقف أمام الأديب،

فاللأاستقرار واللاقدرة على العودة إلى الديار جعلت الأديب ينطوي على نفسه ممّا زاد حبّه لوطنه حيث يقول فريش: « الوطن مجموعة من الذكريات».³

وهكذا على حافة الأمل المملّون بالسراب المخملي حاول الأدباء إذابة المنفى وعدّه كائنا مفهوميا يهرب فيه الأديب عبر اللغة فيكون مبدعا عبر الوسائط الثقافية، فهو يحى التداخلات فلا يتأقلم مع الوسط الجديد ولا يقوى على نسيان الوسط الماضي، وهكذا وعبر صهوة التخيل منهم من فاض شعوره فسرد وعبر وأجاد، ومنهم من صدمته الخيبة والخذلان فأرسل حروفا وأقلّ فأجاز. كأنّه يدخل في أتون مغامرة التجريب الشعري فينطلق من فراغ تأسيسى نقدي يلعن فيه كلّ شيء وينتقد المحيط به محاولا أن يرمي بخطواته نحو مسيرة الإبداع، غير أنّ هاته الصياغة ولّدتها الظروف الداخلية من سياسية وثقافية وحتى نفسية، « فالحزن والانكسار ثوب هذا الشعر كما يعدّ الحنين والغربة عاملان يضعفان من جهد الفنّان المبدع».⁴

تفتّحت قرائح أدباء الاغتراب في ذلك المنفى بحبر القلوب المجروحة والنفوس اليائسة بسؤال الذات والبحث المستمر عن الهوية وجعل الأرض خضراء فهي نوع من التحليل النفسي مصبوغ بطابع القلق الوجودي والسخط العارم والانشقاق المرّ، فالمنفى يحقق للكتابة مكان لكنّه ليس بالمكان الجغرافي لصاحبها « إنّه الشّرخ المفروض الذي لا التئام له بين كائن بشري ومكانه الأصلي، بين الذات وموطنها الحقيقي: فلا يمكن البتّة التغلب على ما يُولده من شجن أساسي...فمآثر المنفى لا يقوّضها فقدان شيء ما خلفه المرء وراءه للأبد».⁵

2. أنواع المنفى:

أ/ منفى داخلي:

تعاني فيه الذات الروائية أو الشخصية الرئيسية ضغوطا سياسية تدفعها للرحيل بين المدن المتعددة داخل البلد نفسه، أو إحساسها بالغربة اتجاه نفسها أي وحشة النفس. وأدبها هو شعر اعتذار للوطن ومعاتبة النفس ومحاسبتها⁶.

ب/ منفى خارجي:

وهو محور دراستنا باعتباره الأهم من بين كل الأنواع، لأنه تعبير صادق للذات المقسية من وطنها، اللاجئة، الغريبة، ولعلّ أصدق مثال عن هذا ما صوّره أبناء فلسطين من صدق التجربة الشعورية كما هو حال الشاعر الفلسطيني محمود درويش الذي عاش الغربة والاقتلاع من وطنه وثقافته وإن كان مقيما بفلسطين إلى أنّه مقيم في ذاته المحرومة من شخصيتها في التفكير، وقد أدمن العيش في هويته التي أصابها جرح نازف مقيم.

غريب على ضفة النهر، كالتّهر...يربطني

باسمك الماء. لا شيء يرجعني من بعيد

ماذا سأفعل من دون منفى، وليل طويل يحدق الماء؟

عصارة شعره هي يقينه بأنّ رحلة الغريب وتمه قد طبعت حياته، فكانت كتاباته وسيلة للانسجام مع الذات من خلال إفراغ الشحنات العاطفية المضطربة الراضية لواقع النفي والتشرد وهذا ما عكسته أعماله: عاشق من فلسطين 1966، العصفير تموت في الجليل 1969.

ج/ منفي مزدوج:

يكون فيه المنفيّ في وضع بيني، تنقسم فيه ذاته على نفسها وتنسحب رؤيتها المزدوجة على كلّ شيء: اللغة، الهوية، الثقافة، الوطن...

د/ المنفي الوجودي:

يعاني فيه المنفيّ من أزمة وجودية خانقة، فالوطن وما سواه منفي كبير يُلح على الذاكرة، ولعلّ أبرز من مثله هو ابن الجزائر: "واسيني الأعرج في روايته ذاكرة الماء: محنة الجنون العاري 1997م" هي رواية منفي وجود محض، كان فيها الراوي منفيًا داخل وطنه (الجزائر في الثمانينات) ومنفيًا خارجه (في هجرته المتكررة لفرنسا).

د/ منفي اللغة:

هو ازدواجية الهوية، فهم كتاب عرب حملة الوعي العربي إلا أنّ اللسان أجنبي، فيطرح قضايا الازدواج بين وعي اللغة ووعي الثقافة، كمالك حدّاد الجزائري الذي لم تمنعه اللغة الأجنبية ولم تقف أمامه سدًا منيعًا يكبح منافذ الإبداع والموهبة المتألقة، وهو الذي قال: "اللغة الفرنسية منفاي" أيّ المنفي الرّوحي أثقل وطأة على صدره وأبلغ أثرا على روحه من وقع المنفي المكاني.

ثالثا: المنفي ورحلة البحث عن ثبات الهوية:

لطالما شكّل المنفي هاجسا وحلما مزعجا وكابوسا مرعبا لدى المنفيّ الذي حاول جاهدا التّخلص من قيود أغلاله بكلّ ما أوتي من قوّة، وفي خضمّ محاولاته نجد الأديب في مسار معاناة ذاته يحاول التّأصيل لهويته وترسيخ انتمائه وحفظ وجوده وإحياء حضوره واندمال جروحه التّاريخية أمام الحوائل الكولونiale التي شتت الذات الإنسانية وعملت على خلخلة الهوية، تلك الهوية التي تمثل قضية مجتمع أو أمة، فصار المنفي يعيش حالة

صراع هوي وشعور بالاغتراب وانشطار الهوية ومأزق تشظّيها فيسعى إلى التّصالح مع نفسه نتيجة شعوره بالتأزّم الحاد، فهي همّ يؤرقه ويثقل كاهله ومسألة الهوية موضوع الواقع الراهن خاصة مع ما أفرزته التجربة الاستعمارية بين هوية تعبّر عن الموروث الثقافي وأخرى جديدة في أرض المنفى، خاصة في ظلّ الاختلاف جوهر العداوة والاحتدام الصريح بين الشرق والغرب الذي يشكّل عجينة الهجنة الثقافية.

إنّ مفهوم الهوية من بين أهم القضايا التي تعالجها كتابات المنفى لاتصالها بجذلية الأنا والآخر وهي جذلية يتلوى فيها المنفى باعتباره ذاتا تنازع عالمين مختلفين: «عالم الأنا وهو عالم مفقود تسعى إلى إعادة تشكيله الذاكرة، وعالم جديد يسعى إلى التّعايش معه».⁷

1) مفهوم الهوية:

البحث عن الهوية هو خطوات للتفتيش عن الإنسان في الزّمان والمكان، عنه في حد ذاته، واختلافاته وتفرّده، وهي تعني بالفرنسية: *identité* أمّا بالإنجليزية فهي: *identity*. فهي بالمنظور الغربي ما يعادل الحرف اللاتيني: ID.

ويعرفها الشريف الجرجاني فيقول: الهوية هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النّواة على الشجرة في الغيب المطلق، والهوية السّارية في جميع الموجودات ما إذا أخذت حقيقة الوجود لا بشرط شيء ولا بشرط لاشيء.⁸

ويختلف تعريف الهوية حسب منظور كلّ علم لها فتعريفها في علم النفس ليس نفسه في الفلسفة، فهويّة الشيء هي ثوابته التي تتجدد ولا تتغيّر، تتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانها لنقيضها، فطالما بقيت الذات على قيد الحياة، إنّها كالبصمة للإنسان.⁹

وبالتالي الهوية هي تاريخ شعب، هي الحمولة الثقافية للأمة، هي ذاكرتها، هي الماضي والحاضر والمستقبل.

ويمكن الإشارة إلى تعريف عميق طرحه شاعر فلسطين محمود درويش حين سُئِلَ عن ارتباطك الهوية فقال: والهوية؟ قلت. فقال: دفاع عن الذات. إنَّ الهوية بنت الولادة لكنها في النهاية إبداع صاحبه، لا وراثته ماض. أنا المتعدد في داخلي وخارجي المتجدد.

والهوية أنواع: فردية، جماعية، وطنية، قومية، ثقافية.

رابعا: جمالية لغة السرد في المنفى وإيديولوجية الهوية في ظلّ المأساة الكولونيلية:

بلسان الأغيار راح الأدباء يعبرون عن حالات وجودية قاهرة استعانوا فيها ببوصلة اللغة والهوية نظرا للعلاقة الوطيدة بينهما فهما وجهان لعملة الذات المطالبة بصون هويتها ولغتها في منعطف مرير تكادته نفوس المنفيين عن أوطانهم، فكان هذا الانعكاس ثمرة للعلاقة بين التاريخ الحقيقي والفنّ الروائي باعتبارهما فنين يقومان على السرد الذي يعدّ الحاضنة الإبداعية للتعبير، وملاذا يمثّل الوعي ويبلور وعي الإنسان، فهو خطاب غير منجز يعبر عن محنة المنفى وقلق الهوية والانتماء، وعن الكينونة والاضطراب الوجودي وحالة التشظي جرّاء تفكك الوطن العربي، فتجربة المنفى بقدر مراتبها إلا أنها حملت مسرات، فمن أهمّ ما أنتج النصّ السردى الذي أبى إلا أن يمتطي صهوة التخيل في العالم السردى وينفذ للأعماق ويستمدّ شذرات الإبداع ويتبرجم البوح الجارف بكتابة حبرها من اغتراب ونفور، كتابة عابرة للحدود الثقافية والجغرافية والتاريخية والدينية.

فتتبّدّى الأزمة الروحية للمنفي بعد أن أخفق في تشكيل معادلة الأنا والآخر، بتعبير فيه التّبتّل والحس المرهف والتمرد، تشعر فيه بهدّجات الصوت المبحوح فيعبر بخياله عبر الانزياحات اللغوية ليتزاوج فيها النقدي مع الأنثروبولوجي والهوى مع الآخرى، فيمكن القول بأنّ أدب المنفى ليس جنسا أدبيا بل هو مؤسسة أفكار تتجاوزها مجمل

الأجناس الأدبية من شعر وقصة ورواية ومسرح، وهي منظومة تتشكل من فعل واحد هو النفي.¹⁰

إنّ السرد المضاد أو السرد الكولونيالي هو كشف وتعرية للمتوارى والممنوع عن الرؤية باعتبار صوّر فيه السارد عبر مخياله حالة الأزمة بين الشك واليقين والوجود والعدم بين الاكتمال والنقصان والثبات والتغيير، تفصح فيه الذات الساردة عن كآبتها تنسج ذلك الانسياب العفوي الصادق والتداعي الحرّ.

خامسا: ملذّات أدب المنفى عند الشاعر الجزائري الأمير عبد القادر من خلال قصيدته: "عذاب الأسر".¹¹

اخترنا الأمير عبد القادر كأنموذج للدراسة بسبب نزعتنا الوطنية وإعجابا بجوهره الفدّ وتقديسه لوطنه الجزائر وعدم خضوعه، و وقاره وتواضعه ورفعته علمه المتصوّف، وحمله أعباء قيادة بلاده في سنّ صغيرة وتأصيلا لظاهرة المنفى عنده واستغلال مكان مأساته للتعبير عن المأساة وافتخارا بحروف جريئة تدعو للأمل وانفراج الظلام وزوال سدوم الهموم.

1. سيميائية العنوان:

العنوان "عذاب الأسر" شحنة عاطفية تنم عن ذات مبدعة ساردة عبر مخيالها لتوقها وشوقها وتميها، فعبر عن نفيه وتشردّه وشتاته بإنقاذ ذاته التي يعتصرها ألم الاغتراب بتحقيقه لها حضورها المغيب في انشاءات المكان.

ومطلعها: ماذا عن ساداتنا أهل الوفا لو أرسلوا طيف الزّيارة خفا.

بمقدمة غرضها الشّوق والحسرة والحنين إلى الأهل والخلان، كما يخفض هنا أميرنا جناح الدّل لعلمائه المتصوفين وينعتهم بالأوفياء.

2. اللّغة والهوية:

مقوّمات شخصيته الوطنية الجزائرية ورمز عروبه ودينه وملاح صبغته الثقافية وتنشئته وفكره المعرفي جعلته يستقي أفكاره من مستودعه الذي يخرج منه مكنوناته بالروح الشعري، فحالة اللاعودة للوطن جعلته يستحضر اللغة كدرع يحمي به باعتباره ملجئه ووسيلته.

فيقول: قلبي الأسير لديكم والجسم في أسر العدو معذباً ومكتّفاً.

ما قيل: ذاك أسيرنا وقتلنا بين العوادي والأعداء مثقفاً.

حاشاكم لجميل ظني فيكم أن تشمتوا في العدو المرجفاً

جعل من اللغة قالباً صبّ فيه عصارته الثقافية وعواطفه التي صقلتها تجربة المنفى، فجاءت ألفاظه سليمة رصينة تتميز بالجزالة والاستقامة والمتانة وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على التمرس الشديد والتمكّن من القواعد اللغوية والفنية ومستوى الاستواء والافتدّار.

3. الأسلوب والمعاني: الأسلوب عالم موازي للغة، والمعاني حصون

الألفاظ فكان الأسلوب صادقاً لا غبار عليه يحمل في طياته معاني الأسى، كما جاء قوياً نتيجة معاناته وراء القضبان، مزج فيه بين الخبري والإنشائي الدالّ على القلق الشعوري واضطراب الذات وانفعالها. فيقول:

زفرت قلبي جمر نار أججت من دموع العين فاضت ذرفاً

هل من منام للديغ بمرة فضلاً عن المرات أو هل من غفا

4. لغة الوجدان:

داخل الشّاعر يتأكل، ونفسه يتباطئ شوقاً وحنيناً وحبّاً إلى الوطن والأهل، ولوعة
الفراق والنّفي تزيد من لهيب نفسه المغتربة فاختصر التعبير عن ذلك بجوارحه 'قلبي،
نفسي' بهدوء ورؤية رغم الثورة في أعماقه إلّا أنّ شعور الشّوق جاءت حروفه منكمشة
حزينة.

فشعر الأمير الذي بثّته روحه فيه رؤية وجدانية شعرت بوطأة العالم الخارجي
حولها

ضيف له نزل لديّ كرامة كبد شواها البعد في جمر الجفا
لو أنّ نفسي لي إليك بذلتها وأراه بذل مقصر ما أنصفا

5. البيان والبيدع:

الصّور البيانية: 

القصيدة تصوير فنيّ محكم التّظهير، فجمعت بين الكنايات والتّشبيهات
والاستعارات، كأنّها لوحة فنية تعجّ بالحركة والحيوية بهدف التّشخيص والتوضيح
والتجسيد.

ويكون بيت نزوله قلبي الذي وحياتهم من حبّ غيرهم عفا

شبه قلبه بالبيت فذكر كلاً من المشبه "قلبه" والمشبه به "البيت" في صورة جمالية
جسدها التشبيه البليغ المقلوب.

المحسنات البديعية:

تتجسد الثنائيات المتضادة بالطباق لتتضح المعاني التي تكشف عنها، في تضاد بين كلمة للنّعال والحفا، فيقول:

ويكون قبل حلوله أفرشته خدّي وطاء للنّعال وللحفا

ويشكّل التصريح نغما موسيقيا تطرب له الأذان فيقضي على الرّثابة في القصيدة ويأتي مقويًا لأواصر الشعور في القصيدة وقد ورد في البيت الأول كمايلي:

ماذا على ساداتنا أهل الوفا لو أرسلوا طيف الزّيارة في خفا..

6. شعرية الإيقاع:

القصيدة من بحر الكامل: متفاعلمتفاعلمتفاععلن. فجاءت إيقاعاتها الداخلية والخارجية متباينة بين الجهر والهمس، الشدة والرّخاوة، التفخيم والترقيق وهو تنوّع سلس يدلّ على قوّة التمكن وقدرة الشاعر من فهم مشاعر ذاته التي طالما تأرجحت بين الهدوء والتّمرد.

7. الوزن:

ما يلفت انتباهنا هو محافظة الأمير عبد القادر محافظة شديدة على الشّكل العمودي للقصيدة وهو الشكل التقليدي المتعارف عليه من وزن وقافية وبناء موسيقي، فحالة الشاعر النّفسية التي خيم الهمّ عليها وألمّ بها عبّر عنها أميرنا بسرّ نظمته على بحر الكامل الذي يتناسب والعاطفة القوية الهوجاء.

وتكون يا سعد المساعد للذي من هجر من يهواه صار على شفا.

8. النَّظرة التفاؤلية ووهج الأمل عند الأمير:

لم يكن أدب الاغتراب والمنفى عند الأمير عبد القادر مدعاة للكآبة مطلقا بل نجد نفسه المؤمنة المتدينة البدوية التراثية تنادي بإشعال شمعة الأمل وإن لم ير شعاعه، يحترق بنار المنفى لينير عتمته، بنفس راضية قنوعة متفائلة تحمل نبراس العودة القريب والغد الجميل ووصال الأحبة من جديد.

حشاكم لجميل ظنّي فيكم أن تشمتوا في العدو المرجفا
ولطالما لام العدوّل بحبكم وأطال عتبي ناصحا ومعنّفا
ولكم سعى كيما يصرف وجهي عن وجه ودكم ولم يكن مصرفا
ويود لو أنّي سلوت هواكم فيكون لي خلا وفيّا منصفًا
قلب الشجي كما علمتم إنّه لا ينثني عن حبكم متخوفا
يبغي الوصال ولو تمزّق تالفًا ويلدّ أن يلقي العذاب ويتلف

3. خاتمة:

الأمير عبد القادر الرجل الفدّ، البطل المغوار، والشاعر المجيد، المناضل الثقافي استطاع تجسيد ظاهرة الاغتراب وسرد أدب المنفى في تجربته الكولونيالية، فكانت الثمرة هي أدب إنساني يشحذ الهمم ويرفع القمم فهو السلاح الثاني.

فأدب المنفى أدب المقاوم في سبيل وطنه أدب ملازم لهويته أدب حفظ جينات الثقافة الأصلية من الهجنة، رسالة الشعراء للدلالة على وحشية المستعمر، أدب الأمل والألم والتطلع لغد أفضل ومستقبل زاهر،

فالعيش بكرامة والرغبة في النَّصر هو الدَّاعي لهذا الأدب الذي جاءت
ميزاته كالآتي:

العمق، الرمزية، البلاغة، التصوير الفني، الاختزال، المخيال السردى
الواسع.

وصف جمال الوطن والحنين إليه.

التعبير عن خلجات النفس بلغة رقيقة تبوح بشوقها وتشكو غربتها.

إجمالاً يمكن القول بأنَّ أدب المنفى يحقق غاياته الجمالية من خلال
إبداع المنفى عبر الوسائل التخيلية، ويزيح الشكوك عن هوية البراءة
هوية التماسك هوية الموروث الثقافى بجمالية وتأثير بلاغى ولد من رحم
المنفى.

*** **

¹ محمد الشّحات، سرديات المنفى، الرواية العربية بعد عام 1970، أزمنة للنشر والتّوزيع، عمان، الأردن، (ط1)، ص.22/21.

² أشكروفت بيل، هيلين تيفين، جارت غريفيت، دراسات ما بعد الكولونيالية: المفاهيم الرئيسية، تر: أحمد الروبي، تقديم كريمة سامي، 2010، القاهرة، مصر، المركز القومي للترجمة، ط1، ص.166

³ نفس المرجع السابق: محمد الشّحات، سرديات المنفى، ص.31

⁴ المرجع نفسه، ص31

⁵ Edward Said. Reflection on Exile and Other Essay. p137

⁶ يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشّعر العربي، دار مجدلاوي، ط.1، 2008، ص.19، 20.

⁷ إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، ص.92.

⁸ الشريف الجرجاني، تعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص.137، 138

⁹ محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار نهضة، مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط.1، 1999، ص.06

¹⁰ د. عبد الله إبراهيم، الكتابة والمنفى ص.39

المرجع:

¹¹ ديوان الشاعر الأمير عبد القادر، جمع وتحقيق الدكتور العربي دحو، طباعة وتنفيذ أحمد متولي، قصيدة عذاب الأسر ص.104.